الفصل السابع والعشرون

جماعة للموت المحقق

وبعد ما اصطففنا جميعا تحت الوادى العميق منتظرين أمر المسير عندها وصلنى قطعة من الورق ففتحتها وقرأت الآتى « ياسوكيشى هندا أصيب فى يوم ١٩ من هذا الشهر وعند ما قدمت له شربة ماء بكى وسالنى أن أقدم وداعه الى الملازم ساكوراى . الامضاء : بونكشى تاكاؤو » . و(هندا) هذا كان مراسلى من سنة مضت وكان أمينا وآخر كلماته كانت وداعا لى وقد تأثرت جداً لعدم وداعى له باليد

ثم جمعت جنودى حولى وقلت لهم « انا الآن أودعكم جميعا . حاربوا بكل قواكم . وهذه الموقعة هى الفاصلة لسقوط (بورت ارثور) . وهذا الذى تشربونه اشربوه من فضلكم كقدح وداع للفراق الابدى » فشربنا جميعا شربة الوداع من قدح واحد وبعد برهة استلمنا أمراً بالتقدم الى نقطة فى منتصف الطريق على سفح (بانلونج) فابتدأنا فى السير بسكون مارين ثانيا بالمضيق الفظيع الملآن بجثث رفاقنا وهذه كانت المرة الثالثة لعبورنا هذا الطريق وكلنا يتمنى عدم السير فيه المرة الرابعة ونحن أحياء لان الموت تحت علم الشمس المشرقة الخفاق وخصوصا الموت عند تأدية خدمة جليلة الى الوطن لهو الغرض المحبوب

وقد خففنا على قدر الامكان ما نحمله فقد أخذ كل واحد معه ما يسد

رمقه من البقسماط يومين أو ثلاثة فقط وتركنا الباقى خلفنا أما أنا فقد تربيت بزى من يريد أن يظهر على مرسح الموت الشريف

وفى أثناء مرورنا رأيت جنديا مكسور الساق أخبرنى أنه لم يذق طعاما ولا ماء منذ ثلاثة أيام فناولته الثلاثة بقسماطات التى معى وهى كل مؤونتى وسقيته من زمزميتى فسألنى ودموع الشكر فى عينه فقلت له « الوداع » ثم سرنا حتى وصلنا بعد ذلك الى عرافيل سلوك (بانلونجشان)

وقامة (بانلونج) هذه استولينا عليها بلحم ودم الفرقة التاسعة والآلايات السابع والثامن من الاحتياط الثانى وصارت الآن قاعدة مهمة لعمل هجوم عام على القلاع الشمالية (لشيكوان) الشرقية و(وانتاى) وهذا الموقع المنيع أخذ أخيراً بعد معركة عنيفة تحت امرة الجنرال (أوشيما) ومناظر المضيق الفظيعة تعبر عن تاريخها المحزن

وعند ما كنت أمر داخل عرافيل السلوك الموجودة أمام ذاك الموقع رأيت مهندسين كثيرين وجنودا بيادة قتلى وهم مترا كمون فوق بعضهم معرقلين فى السلك ماسكين بكلا اليدين على وتد أو قابضين على مقصات الحديد

وعند ماوصلنا وسط جانب (بانلونج) رأيت علم الآلاى الذى كنت أحمله وهو يرفرف على رؤوسنا فى الظلام فخفق قلبى عند رؤيته فصعدت الى المكان المغروس فيه وهناك تقابلت مع الميرالاى وجها لوجه فقلت « ميرالاى ـ انا الملازم ساكوراى » فنظر الى كأنه يفكر فى الايام الخالية باشتياق وقال « هل أنت ساكوراى ؟ انى أطلب لك النجاح » ثم سمعت صوتا ينادى اسمى من قمة الجبل فتركت الميرالاى وذهبت الى القمة لاقابل

الملازم (يوشيدا) أحد أصحابي وهو من نفس مقاطعتي وكان هناك منفردا مع قتلى الفرقة التاسعة التي هاجمت هذا التل كأنه شعر بان ترك جنوده القتلى غير مناسب فقال لي وهو كئيب « ساكوراي ! ان الحرب كانت هائلة في اليومين السابقين » فعجبت لسبب انفراده هناك ولذا سألته « ماذا تصنع هنا وحدك ؟ » فجاوبني « انظر من فضلك الى هذه الجثث » وكانت كتلال حوله كل قتيل فوقه أربعة بعضهم ماتوا وأيديهم على مدافع العدو والآخرون نجحوا بالتقدم خلف بطارياته (مدافعه) وقتلوا وهم قابضون على عربات المدافع وكان يسمع أنين الجرحى الذين دفنوا تحت القتلى وفي يوم ٢٧ اكتوبر قائل (يوشيدا) بيأس عظيم في ارهلونجشان (في منشوريا بعد ما سقطت بورت أرثور وانضم هذ الجيش المنعزل الي الجيش الاصلي في منشوريا) فكانت مقابلتنا فوق ثقة بانلونج هي الوداع الاخير

وعند ما اجتمعنا قام الميرالاي وأعطانا آخر وعظ قائلا « ان هذه الموقعة أعظم فرصة لخدمة وطننا فيلزمنا أن نضرب بورت أرثور في نقطها المهمة ولا يكفي أن تكون فرقتنا عازمة على الموت فقط بل يلزم أن تكون فرقة موت محقق واني أشكركم كأبيكم وأرجوكم ان تعملوا كل مافي استطاعتكم لذلك »

نعم نحن كنا مستعدين للموت عند تركنا (اليابان) فالرجال المتوجهون للحرب بالطبع لا يمكنهم أن ينتظروا رجوعهم احياء ولكن في هذه الموقعة خصوصا يجب أن لا يكون الانسان مستعدا للموت فقط بل يلزمه أن لا يجتنب الموت وفي الحقيقة كنا (رجال الموت المحقق) وهذا الاسم الجديد

أفادنا عزيمة عظمى وقد أتانا تلغراف من ناظر الحربية (بطوكيو) قرأه علينا أركان حرب لالاى وهو يقول « انى أرجو لكم النجاح » وقد زادنا ذلك حماسا

ولا أتكلم الآن عن الفظائع لرائعة لهذا الهجوم العام فقد كنت ملازما فقط وكل شيء مر بذاكرتى كأنه حلم

وقام رجال فرقة الموت المحقق بعملهم وخطوا الى الامام بدون خوف الى محل الموت ومروا على (بالونجشان) واخترقوا الجثث المتراكمة على بعضها فوصل جماعات من الجنود الى السفح المستحكم واحدا بعد الآخر فقلت للميرالاى « حينئذ الوداع يا ميرالاى ! »

وقد وقعت معركة بالقنابل في خنادق العدو وكانت قنابلنا تفرقع فصار الخندق شعلة نار والالواح السواتر والرؤوس تتطاير وأكياس الرمل تتناثر والاخشاب تتبتر والشرار الذى كان يختلط بالدخان ينير أوجهنا بضوء أحمر فصار جميع ميدان القتال مخلوطا فظننا العدو قطع الامل وابتدأ فى الفرار فكنا نصرخ على الجنود تقدموا ! تقدموا ! فهذا وقت التقدم لنقتفى أثرهم ونستولى على مواقعهم وكنا نتقدم للامام معجبين بنصرنا ورفع اليوزباشى (كوا كامى) حسامه وقد كنت واقفا قريبا منه فقال « ليتقدم نصف بلوك سا كورای » فتركت جانب اليوزباشي فأول ما وقع عليه نظرنا هو سور القلعة الشمالية وقد التفت خلفى فلم أر جنديا فظننت ان خط الجنود قد قطع فناديت عليهم فسمعت صوتا ينادى « يا ملازم سا كورای ! » فرجعت الي اتجاهه فوجدت الاونباشى (ايتو) يبكى فسألته عن سبب بكائه فقبض بقوة

على ذراعى وهمس فى اذنى وقال « قد قتل يوزباشينا » فبكيت أيضا وقلت الم يعط من برهة أمر التقدم . فهل كان ذلك حلما أو يقظة ؟ هذا ما كنت أعجب منه

ولقد أشار الاونباشى (ايتو) الى جثة اليوزباشى التى وقعت على الدرب الموصل الى المتاريس على بعد بعض أمتار فاسرعت الى هناك ورفعته على ذراعى وناديت « يايوزباشى ! » ولم أقدر أن أزيد على ذلك ثم أخذت الخريطة السرية التى كانت معه وانتصبت واقفا ثم رأست البلوك الثانى عشر كله

فأمرت جنديا مجروحا يحمل جثته الى الخلف فأصيب وهو يحمله ومات وهكذا كان يقتل الواحد بعد الآخر ممن يحملونه وناديت الملازم (نيغوميا) وسالته اذا كانت الاصناف (أرباع البلوك) مع بعضها فأجابنى بالايجاب فأمرت الاونباشى (ايتو) أن يحفظ المواصلات بين الاصناف وأخبرته بأنى سأكون فى منتصف خط المناوشين ولم يمكنا فى ظلام الليل أن نميز أى شىء

وكانت القلعة الشمالية وتل (وانجتاى) منتصبين على خط السماء المظلم وكان أمامنا استحكام طبيعى فكنا فى جوف حفرة واسعة فأمرت بلوكى بالتقدم وفى الحال انقطع عنى صوت الاونباشى (ايتو) الذى كان فى جهتى اليمنى واختفى ضوء السونكيات التى كانت تضىء فى الظلام وقلت جماعات الجنود الذين كانوا يقتحمون الطريق الى الامام وفى هذا الوقت أصبت بجرح فى يدى اليمنى فرفعتها ونظرت اليها واذا هى مكسورة من المعصم وهى

معلقة والدم يسيل منها بكثرة فأخرجت أربطة مجهزة وربطتها بها وعلقتها بمنديل فى عنق

ولما رفعت نظرى الى الاعلى رأيت واديا يفصلنا من تل (وانجتاى) الشاهق فاردت أن أشرب فتشتت فى وسطى فلم أجد زمزميتى وانما وجدت علاقتها فقط التى كانت تعلق سيرى وكانت أصوات الجنود تخفت واحدا بعد الآخر بينما كانت تزداد أضواء صواريخ العدو وغاغة أطلاق المدافع الهائلة فرميت غمد السيف وبقى النصل بيدى الشمال ونزلت الى أسفل السفح كانى فى حلم وقفزت فوق المتاريس وتسلقت تل (وانجتاى)

وكانت المدافع الطويلة الثقيلة جداً عالية أمامنا ولم يبق من الجنود الذين كانوا معى الا القليل فصحت عليهم «اتبعونى» وغاب على اليأس حينما ظننت أن باقى الفرقة قتل أكثرهم ولم أنتظر أى امداد فامرت جنديا يتسلق المتاريس ويغرس علم الشمس المشرقة عليها ولكن للاسف أصيب ومات فى لمح البصر

وفى الحال ارتفع صوت «هاجمنا العدو» حولى كأنه من عالم آخر واذا بفرقة من العدو ظهرت على المتاريس كانها سور من خشب تريد أن تحيط بنا ثم صاحوا صياح النصر وكان موقفنا حرجا لا يسمح لنا بأى مدافعة فضلا عن قلتنا فالتزمنا بالرجوع الى أسفل التل فاقتفى الروس أثرنا وهم يطلقون علينا النيران وعند ما وصلنا الى الاسفل وقفنا فقابلنا العدو وهناك حصل اختلاط عقبه مذبحة جهنمية كانت السونكيات فيها تصادم السونكيات وكانت مدافع ما كينة العدو تصب الرصاص علينا وعليهم أثناء اختلاطنا

ولا يمكنى أن أفصل هذا الحادث لانى كنت فى ذهول تام وقد أتذكر فقط انى كنت أرفع صوتى وأضرب العدو بسيفى حتى كلت يدى اليسرى واذا بقنبلة قطعت فخذى اليمين فوقعت ولما حاولت الانتصاب لم أستطع فقال لى جندى مصاب بجانبى « يا ملازم سا كورای ! هيا نموت معا » فعانقته بذراعى الشمال وأنا أضغط على أنيابى أسفار كان فكرى متحركا ولكن جسمى لا يمكنه أن يتحرك

الفصل الثامن والعشرون

الحياة من الممات

بزغ فجر ٢٤ أغسطس على ميدان القتال المكسو بالقتلى والجرحى فوجدت الرجل الذى أنا بين ذراعيه هو « كنسوكى اوذ » وهو جندى علمته وكان مجروحا فى العين اليمين وبجنبه ولما ظن أنه لا يعيش أراد أن يموت معى ثم زحزح ذراعى بلطف وأخرج رباطا وربطه وكان يظهر أن لا أمل فى فرارى وان لم أمت فمن المحقق أكون أسيراً وهو أصعب عندى من الموت وكنت أحدث نفسى بالانتحار قبل ذلك ولكن لم يكن معى سلاح ولا يد تساعدنى على هذا العمل فانحدرت دموع الاسف فطلبت من الجندى أن يقتلنى فلم يرض وقد عمى من الدم المنحدر على عينيه واستمر قابضا على بندقيته وهو يقول « انى سأقاوم » وهو منذهل فقلت له اذهب بسرعة واحضر لى (نقالة) وذلك لينجو بنفسه وليخبر بموتى مع علمى بان النقالات لا يمكن وصولها